«قزح»... المعرض الثاني المنفرد للشابة إيلات قنيزح

حين يشرق الفرح من فكرة حزينة فيصبح وجودنا مجدياً

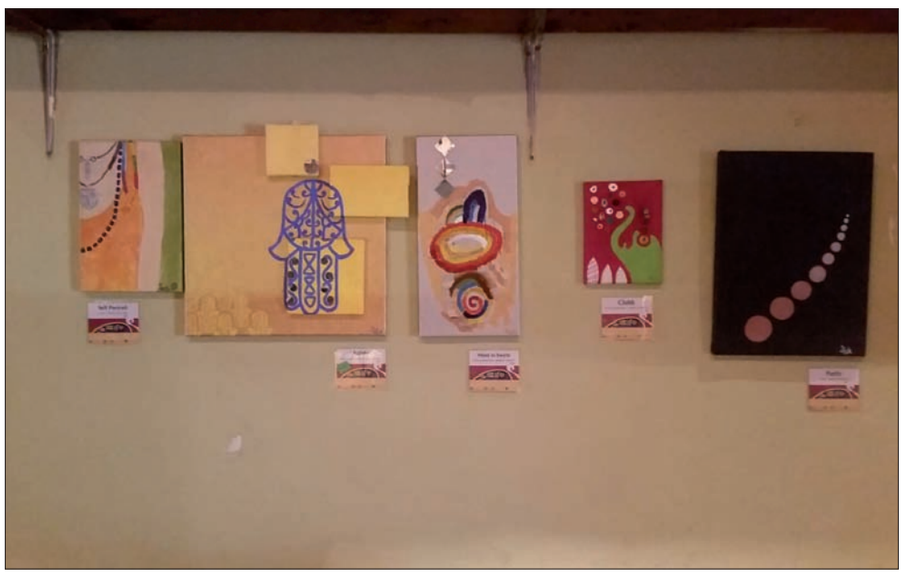

عبير حمدان

تتمسّك الفنانة الشابة إيلات قنيزح بالفرح ولو كان منبعثاً من واقع حزين، هي التي ترى المكان مشبّعاً بالألوان وتثق أننا نملك المقدرة على تغيير بعض التفاصيل الزمنية ليصبح وجودنا أكثر جدوى.

«قزح»، عنوان معرضها المنفرد الثاني، ويختزن سيلاً من الشعاع المنسكب على جدران المقهى الذي يختزن حكايات المدينة بما تضمّ من فرح وصخب وحزن وأمنيات. وتأتي خطوطها مزيجاً لأكثر من مدرسة فنية بحسب تعبيرها، إذ إنها تنهل من تاريخ علاقة الريشة بالقماش ما تراه مقترناً بشخصيتها.

هذه الفنانة المتقدة بالأفكار، لديها طاقة إيجابية رغم إدراكها أن الواقع ليس ورديا، لكنها ترنو إلى منحه حيّزاً خالياً من السوداوية، آملة أن تصل إلى مرحلة تصبح القراءة النقدية فيها للعمل الفني متجرّدة من منطق الحكم المسبق على الأمور.

توزّعت لوحات إيلات قنيزح في أرجاء مقهى «De Prague» منذ أيام، لكنها دعت المهتمين إلى الاحتفال بمعرضها «قزح» مساء اليوم الإثنين، وكانت قد تحدّثت إلى «البناء» عن رؤيتها وخطوطها قبيل الافتتاح.

نبدأ من التسمية فتخبرنا قنيزح عن الفكرة لنراها بعينيها، فتقول: هو معرضي المنفرد الثاني، وسمّيته «قزح» لأنه مشتق من قوس قزح، وفيه سبعة ألوان. وهذه هي السنة السابعة من عمر علاقتي بالريشة واللون والقماش. ويضمّ لوحات رسمتها عام 2009 أي حين بدأت الرسم وصولاً إلى 2016.

لكن، هل ترى قنيزح أن الحياة عبارة عن قوس قزح، تجيب: أعتقد أنها كذلك، أو يمكنك أن تجعليها كقوس قزح حين تركّزين على الأمور الجميلة وتتمسّكين بالجانب المشرق من الحياة، رغم كلّ ما يحيط بك من سواد. وأظنّ أن التمسّك باللحظات الجيدة مفيد، وفي النهاية لا يمكننا أن نطلب عالماً سحرياً خالياً من التفاصيل اليومية بمختلف تناقضاتها.

وتضيف في إطار متّصل: إذا نظرت إلى اللوحات سترينها مشبّعة بالفرح، ولكن قد يكون ذلك نتاج حالة من الحزن العميق. ليس بالضرورة أن تأتي خطوطي وفقاً لما في داخلي من السلبية حين أعمل على تكوينها، لعل الرسم مساحة لإخراج الألم إنّما بهيئة مفرحة.

وعن فرضية مقدرة المتلقّي على تفسير المعنى الساكن بين خطوط الفنان تقول قنيزح: ليس بالضرورة أن يعرف المتلقي ما يريده الفنان أو ما عاشه لحظة رسم اللوحة، الأهم أن يرى من يتأمل اللوحة انعاكس ذات صاحبها. بمعنى أنه حين تنظرين إلى عمل فنّي لا يكون دورك كمتذوّقة لفنّ الرسم أن تدركي ماهية شعور الرسام، وقد ترين فيها شيئاً مغايراً للفكرة الأساس، قد ترين فيها جانباً يشبهك أنت.

أما عن دور المدارس الفنية في تشكيل هويتها، فتقول قنيزح: ليس بالضرورة أن يتبع الفنان مدرسة محددة، إذ إنّ كل نقطة بداية، وفي لحظة ولادتها كانت جديدة، أنا أمزج بين عدد من الأساليب الفنية التي تعجبني مثل بيكاسو وفريدا وسلفادور دالي، فريدا لأنها امتلكت القدرة على إظهار مشاعرها خصوصاً أنها عاشت حياة صعبة جداً وتمكّنت من تجسيدها على القماش. ودالي لديه أفكار مختلفة تجذبني، أما بيكاسو فأحب الألوان التي يستعملها. في النهاية، هناك ما أريد قوله، لكنّني لم أصل إليه بعد. هذا المزيج يحثّني على البحث لإيجاد ما أريد، وأظن أنني لن أجدَه، وحتى لو وجدته، من يعلم ماذا سأفعل لاحقاً، بصراحة لا أفكر بالموضوع كثيراً.

قنيزح لا تفكّر برسم أشياء يمكن أن تلتقطها عين الكاميرا، لذلك تعطي لوحاتها طابعاً يخرج عن إطار المكان والوجوه.

ونسألها عن رأيها بفعل النقد إذا ما كان موضوعياً وحقيقياً فتقول: من المفترض أن يكون هناك أشخاص مختصّون في هذا المضمار، يدركون ما يرونه أمامهم من خطوط وألوان، لكن للأسف ما نراه اليوم لا يمكن وضعه في خانة التخصّصية في النقد الموضوعي والعلمي. هناك كثيرون يطلقون على أنفسهم لقب «ناقد فنّي» ولكنهم لا يملكون المقدرة الفعلية على النقد، مع احترامي للجميع، ولكن الساحة مفتوحة لكلّ الآراء حتى ولو كانت خلفيتها مزاجية شخصية. من جهتي لا يزعجني من يقول إنه لا يحبّ أسلوبي، ولكنّ أكثر من يوتّرني أن يأتي أحدهم ويعمل على تشريح لوحتي وتوجيه الملاحظات، وقد يصل به الأمر أن يملي عليّ كيفية توزيع الخطوط والألوان على القماش.

تعتبر قنيزح أن تعيش مغامرة تستحقّ منها المحاولة كي تترك بصمتها في محيط يضجّ بالكثير من التطوّر والانفتاح الإلكتروني بما فيه من سلبيات وإيجابيات. وعن ذلك تقول: هذا العالم الافتراضي الشاسع مفيد في مكان ما لناحية الانتشار وإيصال ما لديك إلى الناس، بشرط أن يكون ما تقدّمينه جهداً خاصاً بك وليس منقولاً عن الآخرين. أما الوجه السيئ لهذا العالم، فيتمثل في سرقة البعض أفكار غيرهم، وإقناع المتابعين أنها من نتاجهم، إذ يمكن لأيّ شخص أن ينقل صورة أو لوحة ويمهرها بتوقيعه من دون أن يشير إلى مصدرها. وهذا الأمر ينسحب على المجالات كافة لا على الرسم فحسب.

وتحمّل قنيزح جزاء كبيراً من هذا الجيل مسؤولية تفوّق السلبي على الإيجابي في العالم الافتراضي قائلة: المشكلة أن جيلنا يتعامل مع المعلومات بطريقة سطحية ويستسهل مهمة البحث عنها. قلة قليلة منّا تقرأ كما يجب، قد أكون محظوظة لأنني لم أتخلّ يوماً عن الكتاب ولم أستعجل الأمور وأبحث في العمق وبتأنّ.

أما لماذا اختارت أن يكون معرضها في مقهى، تجيب: نحن في زمن بات اللقاء مع الآخرين مرتبطاً بالطعام، حتى حين نذهب لحضور مسرحية نخرج ونناقشها في مقهى أو مطعم، ربما لأننا نعيش في مجتمع استهلاكي. أنا أرى أن المعارض أو الأمسيات الشعرية والندوات يجب أن تكون في قاعة مغلقة حيث يأتي الناس لتذوّق الفن ولسماع الشعر. ولكن إذا ما تطلب منا أن نتكيّف مع المجتمع كما هو فلماذا لا نجاريه ونجبر الناس على الحضور ليروا ما لدينا وليسمعوا كلماتنا. الأهمية تكمن في قدرتنا على إيصال الفكرة ويبقى المكان تفصيلاً مقترنا بطبيعة الزمن الذي نعيشه.

وتختم قنيزح بالقول: برأيي، من يملك الموهبة شخص محظوظ، وتبقى الدراسة المتكأ لإخراج ما في داخلنا من طاقة وقدرة على التغيير لتصبح الحياة مكاناً أكثر جمالاً.

إعلامنا السوري صباح الخير... هل استيقظت هذا اليوم؟!

توما عبّاس

كلّ ما سأقوله الآن ليس هجوماً على الإعلام السوري ولا تحقيراً له، وليس إنكاراً أنه في بعض الأحيان كانت لديه إضاءات معيّنة، والتي قامت بجهود دافعها وطني وإمكانيات بسيطة جدّاً ما سأقوله الآن هو واقع عشناه وعايشناه من ما قبل الحرب على سورية وحتى الآن بعد خمس سنوات من الحرب.

ولذلك، سأبدأ بالحديث عن مصطلح يرتبط بإعلامنا مثل إعلام دولة. أي إعلام يرتبط بمصالح الدولة. الدولة المجرّدة بدستورها ومواطنيها ونظام حكمها. وقدرتها على إيصال كلمتها إلى الداخل والخارج وتصويب أخطاء الدولة والمسؤول. وإعلام الدولة لا يعني إعلام رئيس ووزير وسفير، أو إعلام مؤسّسة فاسدة حتى نبرّر لكل خطأ في الإعلام أنه إعلام دولة، أي إعلام لا يمكن أن يتكلم عن الفساد وعن الأخطاء وعن الجيش. وكونه إعلام دولة، فهذا يجعله إعلاماً بميزانية دولة، أي بإمكانيات خارقة ومساحات واسعة وبإماكنه توظيف كفاءات وقدرات كثيرة لا العكس.

لماذا عجزت هذه المؤسسة الإعلامية حتّى الآن عن القدرة على النهوض بالإعلام؟ من هو السبب؟ ومن الذي يقف وراء هذه النتيجة؟ كان المفروض أن يكون كل خبر مهرجاناً إعلامياً يوجّه العالم أنظاره إليه بشكل يومي. ويوجّه الشعب إليه آماله وأحلامه ومشاكله، خصوصاً أنّ الحرب كانت فرصة غاية في الأهمية لإحداث هذه النقلة النوعية، وإنجاح هذا التوجه. وهذا يعني أمراً واحداً، أنه بالأساس لم تكن هناك نيّة لإخراج الإعلام السوري من قمقمه، وكلّ من يأتي من البوّاب وعامل الخدمة إلى الفنّي والمذيع ومدير الإنتاج والمخرج والوزير، كان يكرّر سابقه ويمشي على خطوط رسمها قبله.

لا أصدّق أنه، وبعد خمس سنوات، لم يُخرج التلفزيون برنامجاً حقيقياً واحداً تتّجه إليه الأنظار دائماً، ويُحدث نقلات نوعية في السياسة والإعلام السياسي. وأنه لم يقم بإخراج برنامج يخاطب العالم باسم المواطن والدولة، أو ينال مشاهدة عالية. البرامج كلّها تكرار سخيف لما قبلها، على رغم توفّر الوجوه السورية المحبوبة على مستوى العالم العربي والعالم، وعلى رغم وجود كفاءات إخراجية ومواهب قادرة على تغيير وجه الكون. لماذا لم نرَ برنامجاً حقيقياً يضيء على الأخطاء في الشارع والسوق والمؤسّسة، أي مؤسّسة، مدنية كانت أم عسكرية، وتوجيه النقض وتعرية تاجر الأزمة ومحاسبة التقصير من أيّ مسؤول سواء كان وزيراً أم رئيس بلدية صغيرة.

هل يعقل أن نشغّل التلفاز صباحاً بحثاً عن تأكيد لخبر قرأناه على مواقع التواصل الاجتماعي كما حدث منذ أيام، وجيشنا يحرز الانتصارات في حلب، لنجد برنامجاً صباحياً يتحدّث عن صحة الطفل والأبراج وربطات العنق وأنواعها؟ وعندما ننتقل إلى محطة إخبارية، نجد إعادة لأخبار اليوم السابق، وحديثاً عن وقائع قديمة في اليمن وليبيا ومناطق أخرى؟ بينما محطات أخرى مثل «الميادين»، تطالعنا بنقل وبثّ مباشرَين لكل ما يحصل، مع مراسلين حاضرين على الأرض، من مدير مكتب «الميادين» إلى عامل الخدمة فيه، كلهم على الأرض لنقل عمليات التحرير والانتصارات بالتواصل مع الأقمار الصناعية، وحديث مع خبراء عسكريين وسياسيين وغيرهم. فهل تخيّلتم شعوري مثلاً، وشعور أيّ مواطن آخر، وأنا من أملك إيماناً بصدق دولتي ومحطتي الوطنية، ولا أريد خبراً من محطة لا أعرف بالضبط متى ستنقلب عليّ وعلى دولتي، ولا أملك إيماناً كاملاً فيها. وفي حين كان الجيش يحرز تقدّمه الذي يُتابع أثره في جنيف وعلى الوقع السياسي في جنيف، كم كان جميلاً ربط الصورة وتنصيف الشاشة بين انتصارات حلب وانتصارات جنيف واجتماعاتها، لإعطاء صورة كاملة عن أنّ الميدان لنا وستكون لنا القرارات السياسية؟

وردّاً على من يقول إن التلفزيون لا ينقل الصورة حتى لا يعلم المسلّحون تخطيط الجيش، سأقول له: «ليش يعني ما بيجي إلا تردّد سورية عند المسلحين؟». الأرض كلها تحت مجاهر الأقمار الصناعية وحتى باطن الأرض وأعماق البحار، وقسم كبير من هذه التكنولوجيا وُضع لخدمة هؤلاء، ولا تنتظر المجموعات المسلحة التلفزيون السوري ليخبرها عن مواقع الجيش ولا عن تحرّكاته.

للأسف، لم ينجح الإعلام الحربي السوري ولا الإعلام على الأرض، على رغم أنّه قدم شهداء في هذا المجال، وعلى رغم الجهود الفردية الجبّارة، لم ينجح التسويق الإعلامي على رغم الإمكانيات المادية الكبيرة، ولم ينجح التلفزيون في خلق وجوه جديدة وتنمية إمكانيات أو تحقيق نتائج مهمة ولا على أيّ صعيد لم ينجح إلا في صرف الأموال الطائلة على المسلسلات الشامية القديمة التي تعكس واقعاً مغايراً لما كان يحدث في ذالك الزمن، وتكذب في واقع المرأة والرجل والعلاقات الاجتماعية. ولمن يريد أن يتأكد، ليشاهد أحد مسلسلات «غوّار» مثل «حمام الهنا» و«فطوم حيص بيص» صاحبة الأوتيل التي ترتدي ملابس ملونة وأنيقة وتضع شالاً بسيطاً ويسعى الجميع إلى كسب ودّها. أليست هذه مسلسلات شامية أيضاً؟

لم ينجح الإعلام السوري إلا بصرف الأموال على برامج من دون فائدة، ومراسلين من دون أخبار. هناك الكثير في المؤسسة الإعلامية السورية لنقده لكننا سنتركه لوقت آخر، من باب الغيرة على الإعلام السوري في حرب عالمية يلعب بها الإعلام دور رأس الحربة. فلا تلعبوا حربكم بحربة مكسورة. استيقظوا باكراً فلكل صباح وقع انتصار جديد.

إعادة تأهيل قلعة الحصن

أكّد وزير الثقافة السوري عصام خليل ضرورة إعادة تأهيل قلعة الحصن وترميم البنى التحتية فيها، كي تعود الحياة إلى طبيعتها في القلعة والمنطقة المحيطة بها.

وخلال جولة في القلعة، اطّلع خليل على حجم الأضرار التي لحقت بالقلعة من جرّاء اعتداءات التنظيمات الإرهابية، مشيراً إلى ضرورة إجراء الدراسات الخاصة بإعادة الإعمار في القلعة بالسرعة القصوى، حتى يتم تفعيل الدور الثقافي فيها.

من جهته، لفت المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور مأمون عبد الكريم إلى تاريخ قلعة الحصن والتي تعتبر من أهم القلاع التاريخية وتعبّر عن حضارة سورية وجذورها التاريخية. مشيراً إلى أنه تم توثيق الأضرار التي لحقت بالقلعة من خلال الرسم الهندسي والصور الفوتوغرافية بشكل منهجيّ وعلميّ بفرز كل الأحجار وتجميعها وترقيمها ليصار الى إعادة استخدامها في أماكنها الأصلية خلال عملية الترميم.

مدير الثقافة في حمص معن الإبراهيم لفت إلى أهمية الإسراع في إعادة تأهيل القلعة لاستقبال الأنشطة الثقافية والسياحة واستعادة دورها الحضاري الثقافي الذي تميّزت به.

وقدّمت مديرة القلعة نعيمة محرطم شرحاً توضيحياً عن حجم الأضرار التي لحقت بالقلعة، مبيّنةً أن معظمها كانت طفيفة ولم تؤثر بشكل كبير على سلامة القلعة ومظهرها الخارجي.

يذكر أن قلعة الحصن تبعد عن مدينة حمص نحو 60 كيلومتراً، وتقع ضمن سلاسل جبال الساحل السوري ضمن المحافظة وتعتبر إحدى أهمّ الأوابد الأثرية في سورية والعالم، ومن أهمّ قلاع القرون الوسطى نظراً إلى أهميتها التاريخية والعمرانية. وتعدّ أكبر قلعة أثرية عسكرية في العالم وتحتوي على تراث إنساني عظيم. وسُجّلت 2006 على لائحة التراث العالمي من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «يونيسكو».

«وحش الشاشة» و«ع البكلة» و«للنشر»... استنساخ في محطة واحدة!

طوني خليفة

ريما كركي

نسرين ظواهرة

جهاد أيوب

البرامج المنوّعة كانت ولا تزال الأكثر متابعة. وبعد عدوان تموز 2006، وانتصار المقاومة في لبنان على العدو الصهيوني، طُلب من الممول العربي أن يسير الإعلام العربي وغالبية الفضائيات التي يتحكم بها إلى عالم «التسطيل» والخمول والبهرجة، وتغييب الثقافة والأدب، وأن تكثر من برامج الغناء والتنجيم والماكياج والأزياء، أي برامج التسطيح. والغاية لم تكن طيبة وسليمة، إنما كانت لإبعاد الشباب العربي عن فكرة أننا نستطيع أن نقاوم ونفكر، ولزرع التعصّب من جرّاء مشاركة الشباب، ومنافسة ابن القطر على ابن القطر الشقيق في برنامج غنائيّ مشترك.

ومع مرور الزمن وتكالب الأحداث السياسية علينا وعلى المنطقة، خصوصاً بعد كذبة «الربيع العربي»، دخلت على الخط البرامج السياسية العنصرية والمذهبية والطائفية بصورة مكثّفة، ما أصاب المشاهد بالجنون والهبل الوطني، والحقد على جاره حتى أنهك المجتمع العربي. وعاش النفور لدى المواطن من برامج كهذه، آخذاً بالبحث عن المنوّعات، واختراع الحدث الذي سيبعده عن همومه اليومية، وحقده على ذاته وعلى جاره وغيره، وتطرّفه فكرياً ومذهبياً، وصولاً إلى ما تبقى من محبّة في قلبه.

وعادت الفضائيات العربية إلى تقديم كمّية كبيرة من البرامج الخفيفة التي تعتمد على اللهو وصناعة الفراغ والتسلية والفضائح، رغم أنّ المنطقة تغلي سياسيا. ولا شك في أنّ الفضائيات اللبنانية كان لها السبق في استنساخ أفكار البرامج الغربية ولبننتها وتسويقها عربياً، خصوصاً في قنوات «mtv» و«ntv» و«lbc»، رغم أن هذه الأخيرة خفّفت من «دوز» هذه النوعية منذ سنتين تقريباً لأسباب اقتصادية، بينما قناة «الجديد» دخلت هذا الموسم والموسم الذي سبقه بقوّة من خلال تدعيم شبكة برامجها بالمنوّعات، لا بل غامرت بكمّ كبير منها. ومنها ما هو جميل وناجح ومنها ما هو متشابه.

في حلقات الأسبوع الماضي، عرضت كل برامج المنوعات في الفضائيات التي ذكرت فقرات منقولة «فوتو كوبي» وبالمعالجة ذاتها والضيوف أنفسهم أحياناً، ومنها موضوع الأخطاء اللغوية على الهواء، وتصرّفات الفنان جو رعد، ونجم «ستار آكاديمي»، والزميلة التي قالت عن حوار زعامات لبنان «طاولة الحمار»... وهذا أكبر دليل على أنّ هذه البرامج وُجدت لتسلّي الناس بعيداً عن أيّ جهد إعلامي ابتكاري، أو لتصحح معلومة وخلل ما، أو لتفيد المشاهد الذي وبفضلهم أصبح يضحك على حاله ومصائبه.

قناة «الجديد» تعرض هذا الموسم ثلاثة برامج متشابهة: «للنشر» و«ع البكلة» و«وحش الشاشة». ولا ندري ما الغاية من هذه البرامج المتشابكة، وكأن القناة قائمة على نظام البركة دون رقيب. ونحن نعلم أنّ إدارة «الجديد» تراقب وتحاسب وتسعى لأن تكون مختلفة ومتجددة. لذلك نستغرب أن تجمع في دورة واحدة برامج متشابهة وقريبة من بعضها إلى حدّ الاستنساخ.

وحش طوني خليفة العائد بعد فراق إلى «الجديد» يسوّق برامجه السابقة وتجربته ونشاطه، ويصرّ أن يضع الـ«أنا» في حديثه. برنامجه نسخة من برنامج إذاعي «وقفة وموقف» للزميلة هلا حداد في «راديو فان»، ربما توارد أفكار... أقصد تشابه الفكرة. وطريقة أخذ الفقرات والعمل عليها، يريدها طوني حتى الآن ثرثرات وإثارة، وهلا تصنع هدفا معنوياً ومادياً يصبّ في خدمة الصالح العام ولا تفكر في الإثارة أو الشهرة بقدر إدراكها أن العمل في الإعلام مسؤولية ذات حدّين.

البرنامج حتى الآن يكرّر فقرات عرضت وتعرض في برامج ثانية، خصوصاً الحلقة الثانية منه، ويعاني من عقدة برنامج «للنشر»، ونأمل أن يصحّح الأخطاء الفنية ويعالج فقراته المغايرة حتى يتفوّق على غيره.

«وحش الشاشة» يسجن في «للنشر»، و«فوتو كوبي» مكرّر في اختيار مواضيع فقراته. إلى الآن هو ليس منافساً، وفيه كمّ كبير من الثرثرة، ورغم أنّ طوني خليفة سيّد مكانه، إلا أنّ برامج ثرثارة غير هادفة وأحياناً مضحكة لم تعد تليق به. أما لعبة الإضاءة المزعجة وسوء إدارة الكاميرات فلهما محطة نقدية خاصة يتحمل مسؤوليتهما المخرج!

«للنشر» في هذه الدورة تائه، لم يستطع قطف النجاح السابق والتميّز الذي كان، هو اختلف عن مساره ودوره وأصبح مجرد برنامج منوّع، وعصبية مقدّمته الزميلة ريما كركي وحدّة ردودها أحياناً تعيقان استمرار المتابعة. هذه الحدّة تضرّ بالعمل ككل ولا تصبّ في صالحه. ريما تستحق البرنامج الأفضل الذي يخدم ما تصبو إليه، ولديها إمكانيات تؤهّلها لأن تكون ذاتها، لا لتكمل ذات الآخر.

أما الزميلة نسرين ظواهرة في «ع البكلة»، فتتصرف بشخصانية مع أنها قريبة إلى القلب، والعين تحبّها. وارتفاع صوتها «من دون عازة» وفي المكان غير الصحيح يزعجنا ويصيبنا بالاستهجان كما لو أنها تفتقد للصبر وفنّ الإصغاء. والغريب أنها لا تسمح لضيفها أن يكمل جملته ويوضح وجهة نظره.

باختصار، هذه البرامج الاستنساخية أو القريبة من بعضها في محطة واحدة خطأ إعلاميّ لا نعرف ما المقصود منه، ولا نعتقد أنّ ذلك حالة منافسة للبرامج المنوّعة المكرّرة والمتشابهة والمتشابكة في الفضائيات اللبنانية التائهة.